

STUDIES IN ARABIC NARRATOLOGY



PRINT ISSN: 2676-7740 eISSN:2717-0179

Analysis of critical discourse in the novel "Ahdab Baghdad" based on "Farklaf" theory

Elham Kazemi elhamk1969@gmail.com
PhD Student in Arabic Language and Literature, Razi University

Jahangir Amiri jahnger.amiri@yahoo.com
Professor of Arabic Language and Literature, Razi University

Yahya Maroof y.marof@yahoo.com
Professor of Arabic Language and Literature, Razi University

Maryam Rahmati Torkashvand m.rahmati@razi.ac.ir
Assistant Professor of Arabic Language and Literature, Razi University

Abstract

Critical discourse analysis is one of the new language tools used to investigate the hidden relationship between language and ideology in society. And it shows the moral and ideological values hidden in the critical discourse. The present article aims to analyze the novel "Ahdab Baghdad" by the contemporary Iraqi novelist Riyad al-Qazi, relying on the descriptive-analytical method and based on Farklough's theory of critical discourse analysis, which is based on the proposition that: "Critical discourse as a tool for analysis social and cultural changes in three levels of description, interpretation and expression". Riyad al-Qadi has been able to provide the reader with a clear and transparent image of the Iraqi society by using narrative tools. One of the most important achievements and results of this research, which was conducted with a descriptive analytical method, is that in the Iraqi society, the discourse of power represented by the American occupiers and Iraqi autocrats has imposed its voice and ideology on the discourse of the society. And this has led to the spread of political, social and moral corruption, and the prevalence of embezzlement, theft, kidnapping, assassination, murder, smuggling, discrimination, cruelty, betrayal, family disintegration, etc.

Keywords: Arabic Narratology, critical discourse, dominance discourse, Ahdab Baghdad, Riyad al-Qadi, Norman Ferclough.

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

Citation: Kazemi, E; Amiri, J; Maroof, Y; Rahmati Torkashvand, M. Autumn & Winter (2021-2022). Analysis of critical discourse in the novel "Ahdab Baghdad" based on "Farklaf" theory. Studies in Arabic Narratology, 3(5), 255-284. (In Arabic)

Studies in Arabic Narratology, Autumn & Winter (2021-2022), Vol. 3, No.5, pp. 255-284.

Received: July 16, 2021; Accepted: September 27, 2021.



دراسات في السردانية العربية

الرقم الدولي الموحد للطباعة: ٢٦٧٦-٧٧٤٠

الرقم الإلكتروني الدولي الموحد: ٢٧١٧-٠١٧٩



تحليل الخطاب النقدي في رواية "احدب بغداد "على ضوء نظرية "فيركلاف"

إلهام كاظمي البريد الإلكتروني: elhamk1969@gmail.com

طالبة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها بجامعة الرازي، كرمانشاه، ايران.

جهانغير أميري البريد الإلكتروني: jahnger.amiri@yahoo.com

أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الرازي، كرمانشاه، ايران.

يحيى معروف البريد الإلكتروني: marof@yahoo.com

أستاذ في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الرازي، كرمانشاه، ايران.

مريم رحمتي تركاشوند البريد الإلكتروني: m.rahmati@razi.ac.ir

أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة الرازي، كرمانشاه، ايران.

الإحالة: كاظمي، إلهام؛ اميري، جهانغير؛ معروف، يحيى؛ رحمتي تركاشوند، مريم. الخريف والشتاء (٢٠٢٢-٢٠٢١). تحليل الخطاب النقدي في رواية "أحدب بغداد" "على ضوء نظرية "فيركلاف"، ٣(٥)، ٢٥٥-٢٨٤.

دراسات في السردانية العربية، الخريف والشتاء (٢٠٢٢-٢٠٢١)، السنة الثالثة، العدد٥، صص. ٢٥٥-٢٨٤.

تاريخ الوصول: ٢٠٢١/٧/١٦ ؛ تاريخ القبول: ٢٠٢١/٩/٢٧.

الملخص

يعدّ تحليل الخطاب النقدي من الآليات اللغوية الحديثة التي تبحث عن العلاقات الكامنة بين اللغة والأيديولوجيا للمجتمع. والنتيجة التي تترتب على هذا البحث هي كشف الغطاء عن القيم الخلقية والأيديولوجة التي تنطوي ضمن الخطاب النقدي.

هذه القالة ترمي إلى دراسة رواية "احدب بغداد" للكاتب العراقي المعاصر رياض القاضي اعتماداً على المنهج الوصفي-التحليلي وعلى أساس آلية تحليل الخطاب النقدي بمستوياته الوصفية والتفسيرية والبيانية وعلى ضوء نظرية "نورمان فيركلاف" لتحليل الخطاب؛ النظرية التي تبتني على أنّ الخطاب النقدي يستخدم كاداة لرصد و تحليل التغيرات الاجتماعية والثقافية إلى جانب أدوات أخرى . وقد برع الكاتب في إعطاء صورة واضحة المعالم عن المجتمع العراقي بتوظيفه آليات السرد الناجحة واللغة السهلة والبعيدة عن الغموض والتعقيد والصور الفنية المؤثرة . ومن أهمّ النتائج التي حققتها دراستنا للرواية عبر آليات الخطاب النقدي هو أنّ خطاب السلطة المتمثلة في الاحتلال والاستبداد فرض هيمنته وأيديولوجيته على المجتمع العراقي الذي يرزح تحت وطاة الاحتلال الأميركي وويلات الاستبداد، ما أدى إلى اضطراب القيم والثوابت وتفشي الفساد السياسي والاجتماعي والأخلاقي وانتشار الاختلاس والسرقة والاختطاف والاغتيال والقتل والتهريب والتمييز والظلم والخيانة والتفكك الأسري و... في ربوع المجتمع.

الكلمات الدليلية: السردانية العربية، الخطاب النقدي، خطاب السلطة، "أحدب بغداد"، رياض القاضي، نورمان فيركلاف.

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

المقدمة

١-١. مشكلة البحث

رواية "احدب بغداد" من إبداع الروايي العراقي المعاصر رياض القاضي تعكس الأحداث التي طرأت على الساحة العراقية على الصعيد السياسي والاجتماعي والثقافي. حبكة الرواية وموقفها من الأحداث واحتواءها على أنواع الخطاب جعلت من الرواية أثراً خصباً وصالحاً للدراسة على أساس تحليل الخطاب النقدي. «الخطاب النقدي (discourse analysis) فرع متعدد التخصصات؛ ظهر إثر تطور العلوم المختلفة كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلوم التعليم والتربية والشعر والبلاغة وعلوم اللغة والسيميائية وما إلى ذلك من العلوم الإنسانية والأدبية وهو العلم الذي ينطوي ضمن الدراسات الادبية والمرتبطة بمجال النطق والكتابة» «والنقطة المحورية البارزة في التحليل الخطابي هي أنّه شكل من أشكال العلوم الاجتماعية التي تقوم بإعادة بناء العلوم بمختلف طبائعها ويعمل على تطويرها وإعطاءها قوالب اجتماعية حديثة»

تعود جذور تحليل الخطاب النقدي إلى ما اقترحه كبار المفكرين من امثال "فوكو"(Foucault)و"ماركس".(Marx) إلا أنه سرعان ما تفرع هذا العلم إلى علوم منفصلة ومستقلة بعد أن وضعت مؤلفات عديدة بخصوصه، من ذلك: كتاب اللغة والسلطة ل"نورمن فيركلاف" (Norman Fairclough) وكتاب اللغة والسلطة والأيديولوجيا ل"روث وداك" (Ruth Vodak) والكتب التي ألّفها كتاب "تيون ون دايك"(Teun Adrianus van Dijk) (آقا گل‌زاده، ١٣٨٥: ١).

يرمي تحليل الخطاب النقدي إلى كشف النقاب عن وجه الأيديولوجيا الكامن وراء النص. انطلاقاً من ذلك: يمكن دراسة إيديولوجيا الخطاب النقدي عبر الآليات اللغوية الفعّالة ضمن الآراء الاجتماعية ذات الصبغة اللغوية؛ ما يؤدي إلى استنتاج القضايا السياسية والاجتماعية منها (بناء على ذلك: إنّ إحدى الغايات الأساسية في تحليل الخطاب النقدي، هي إزاحة الستار عن الدوافع التي تكمن وراء آلية الخطاب ومستوياتها والتي تتحول إلى الأيديولوجيا أو القناعة المشتركة لدى أفراد المجتمع. يعد "نورمن فيركلاف" من الشخصيات البارزة في حقل الخطاب النقدي الذي ينظر إلى الخطاب النقدي كاداة تستخدم لتقصي التغيرات الاجتماعية والثقافية إلى جانب أدوات أخرى. وبما أن رواية "احدب بغداد" لها سمة اجتماعية ونقدية، يهدف بحثنا هذا

واعتماداً على المنهج الوصفي-التحليلي إلى دراسة تحليل الخطاب النقدي على ضوء نظرية فيركلاف للخطاب؛ لإماطة اللثام عن وجه المعاني الخفية في خبايا النص وبالتالي دراسة خطاب السلطة والأيديولوجيا والشعب ضمن رواية "أحدب بغداد" كما تهتم هذه الدراسة بتحليل الخطاب النقدي على المستويات الثلاثة، الوصفية والتفسيرية والبيانية.

۱-۲. خلفية البحث

لم نعثر على بحث تناول هذا الموضوع إلا أنه ثمة بحوث تتعلق بتحليل الخطاب النقدي والتي توزعت بين المقالات والكتب والاطاريح. نذكر بعضها فيما يلي: منها كتاب "تحليل الخطاب النقدي" لسجاد قاسمي و اميد اردلان (۱۳۹۷)؛ الكتاب الذي يعالج القضايا الأساسية للخطاب النقدي في عدة أجزاء بما فيها الاتجاهات المختلفة للخطاب النقدي وأهدافه وهويته"و غيرها من المفاهيم النظرية والأساسية. وكتاب" التحليل الخطابي؛ نظريات وأساليب" لماريان يورغنس" ترجمه إلى اللغة الفارسية هادي جليلي وقد اقترح الكاتب في كتابه هذا، الاتجاهات الثلاثة للتشكيلة الاجتماعية. وكتاب "مفاهيم التحليل الخطابي" لحميد رضا شعيري" (۱۳۹۸) وقد سلط الكاتب الضوء على مفهوم الخطاب ومختلف أبعاده كالبعد المعرفي و الحسي و العاطفي و الجمالي. وقد وقفنا أيضا على مقالة بعنوان "تحليل الخطاب النقدى على ضوء نظرية "نورمن فيركلاف؛ قصة موت "بونصر مشكان" نموذجاً لـِ"ناصري وآخرين (۱۳۹٤) والمقالة اجرت دراسة لغوية على القصة وألقت الضوء على بعض مدلولاتها بشان الأيديولوجيا والسلطة في العصر الغزنوي. ومقالة أخرى بعنوان"تحليل الخطاب السائد؛ رواية" أجنحة الفراشة" نموذجاً لعجرش وآخرين (۱۳۹٥) استهدفت المقالة دراسة الرواية على المستويات الثلاثة؛ أي المستوى الوصفي والتفسيري والبياني. كما حاولت أن تقتنص المعاني المضمرة من أعماق الرواية عبر آلية الخطاب النقدي. هذا ولم نعثر على دراسة تطرقت الى دراسة رواية "أحدب بغداد" من منظور الخطاب النقدي وعلى ضوء نظرية فيركلاف للخطاب.

۱-۳. أسئلة البحث وفرضياته

نتوخى في بحثنا هذا، الإجابة عن السؤاليين التاليين:

۱-۲. ما هي أبرز المميزات الخطابية التي تتميز بها حبكة رواية "أحدب بغداد"؟

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

٢-٢. ما هي أهم الدلالات الخفية للرواية على المستويات الثلاثة؛ الوصفية والتفسيرية والبيانية على ضوء نظرية فيركلاف؟

٤-١. نظرة على سيرة رياض القاضي وملخص لرواية "أحدب بغداد"

رياض القاضي هو الصحفي والكاتب العراقي، ولد عام ١٩٤٧م في العراق. لم يتمكن من إكمال دروسه التمهيدية لسوءالأوضاع الأمنية في البلاد. غادر العراق عام ١٩٩٩ لوجود الاضطرابات الأمنية متجها نحو انجلترا. واكمل دروسه هناك. ثم عمل محرراً في صحف "الإعلام والتوجيه السياسي والأمن القومي والبرقية التونسية، ثمّ عين سفيراً معتمداً في لندن. صدرت منه كتب في مجال الشعر والرواية. من جملة دواوينه: اسطنبول الخواطر والأعمال الكاملة للروائي وبغداد والحريق والرماد. ومن رواياته "مولانا السيد حليف الشيطان وبيت القاضي العراب الاخير ومذكرات ابن الباشا ابن الماسوية واحدب بغداد وسموم وادي الافاعي" (القاضي، ٢٠١٧: ٢١٩)

تحكي الرواية: الأحداث التي عاشها الجيل العراقي المعاصر في أحلك وأصعب فترة من حياته. والفترة التي واجه فيها الشعب العراقي أحداث الشغب وانعدام الأمن والصراعات الطائفية والحزبية والاحتلال الأميركي للعراق والتدخل الأميركي في مصير الشعب العراقي. والحقبة التي هرب فيها الرئيس العراقي صدام ليستولي الساسة الطامعون والفاسدون على أزمة الامور. تعكس هذه الرواية جوانب من حياة الشعب العراقي مصحوبة بالنقد، فإنها تناولت المصائب التي يعانيها أبناء الشعب جرّاء الغزو والاحتلال والفساد المستشري في مفاصل الحكومة وعدم كفاءة رجال الحكم في إدارة الامور، تروي الرواية معاناة الشعب العراقي وكأنها فيلم سينمائي يصور أحداث هذه الحقبة العصيبة لقطة فلقطة.

وفيما يلي نركّز على دراسة الخطاب السائد على رواية "أحدب بغداد" لتتبين من خلالها قوة الخطاب وتاثيره على شخصيات الرواية ودورها في استرسال الاحداث علماً بأنّ الرواية تضم العديد من الشخصيات ومن أبرزها "احدب بغداد" او قنبورة بغداد والفخري والهام ونبيل وعزالدين الخطيب وجوانة ونور ونورهان وغير ذلك من الأبطال الذين لهم دورهم ومكانتهم في تجسيد قصة الرواية. ومن الشخصيات الثانوية للرواية بامكاننا أن نذكر زوجة أحدب وأولاده علوش وسرمد و... تبدأ قصة الرواية بتعريف شخصية تكره المجتمع ويكرهها المجتمع أيضا.

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

اسمها أحدب أو بالأحرى قنبورة بغداد. هو رجل ستيني قبيح المنظر يشبه القردة، قصير القامة مع بروز حدبة او نتوء على ظهره. وكنّي بأحدب بغداد. من عادته أن يتحدث مع نفسه كل يوم عندما يستيقظ من نومه ويلعن يومه عادة لكنه مع ذلك رجل ذكي وفطن يستغل الظروف الاجتماعية لصالحه. مهنة الرجل هي غسل الموتى ودفنهم. وكان معظم مقابر بغداد مجالا لعمله.

كان منظر الرجل بظهره المحدودب وصوته الاجش والمبحوح مخيفاً للناس وخاصة للأطفال. ومما يزيد على هذا النفور والكراهية لدى الآخرين أسنانه السوداء والقبيحة لكثرة التدخين. وبشكل عام يمكن القول: إنّه لم يتمتع بشعبية في المجتمع العراقي. زد على ذلك أنَّه كان انسانا طموحا ذا آمال بعيدة وكان على حلف مع وزير الداخلية العراقي ومساعده للوصول إلى أهداف خبيثة وقذرة ولمّا تعرّضَ للخيانة من قبلهما وعرف أنهما يريدان اغتياله تأجّجت بداخله نيران الحقد والعداوة. كان الرجل وراء المزيد من أعمال الشغب وانعدام الأمن حتى إنّه شكّل عصابات كوّنت من ميليشيات تخطط عمليات الاغتيال والقتل بزرع القنابل والعبوات الناسفة في الشوارع والازقة لدرجة اقضّت مضاجع الساسة.

وبلغ به الأمر إلى أن اختطف مع عصاباته وزير الداخلية وبعد أن عرّضه لألوان التعذيب والإهانة، قطع رأسه ورماه في سلة القمامات بقرب البرلمان العراقي. والفساد المتفشي في أروقة الحكومة حول الرجل إلى إنسان متعطّش على السلطة ولو بإراقة الدماء وارتكاب الجرائم وقد سبق أن قلنا: إنّ الحكومة عاملته بظلم وعدوان وحكمت عليه بالإعدام. والحكومة التي كانت تسودها شريعة الغاب وعلى رأسها شخصيات فاسدة وظالمة تستبيح حقوق الشعب وتسرق أموالهم وتهتك أعراضهم وقد مارست بحق الشعب أنواع الظلم والتمييز والهوة الطبقية.

٥-١. الأسس النظرية

يعتبر المنظّر الشهير " نورمن فيركلاف" من الشخصيات البارزة في حقل الخطاب النقدي الذي ينظر إلى الخطاب النقدي كأداة تستخدم لاستقصاء التغيرات الاجتماعية والثقافية فضلاً عن التقنيات السردية الأخرى. ويهتم فيركلاف أيضا بالدور الذي يلعبه الأيديولوجيا والسلطة في تشكيل الاتجاهات اللغوية والخطابية بأنماطها المختلفة والمنوعة. «ومما نستشفه في ظلّ نظرية فيركلاف بشان دور الخطاب النقدي في العلاقات الاجتماعية هو أنّ اللغة صورة مادية

للأيديولوجيا أو بالأحرى: إنّ الأيديولوجيا يترك بصماته واضحة على اللغة تاركا عليها تأثيره» (فيركلاف ١٣٧٩: ٩٦).

وفي السياق ذاته «إنّ ظاهرة الأيديولوجيا لها أكبر تاثير على اللغة بشكل عام والخطاب النقدي بشكل خاص ولاسيما في المجتمعات التي تخضع وبشكل ملحوظ لسيطرة روابط السلطة» (المصدر نفسه،١١١). «حاول فيركلاف في اتجاهه اللغوي للكشف عن القوانين والقواعد الناجمة عن الأيديولوجيا والسلطة ومدى تأثيرها على شخصيات الرواية لتطبيق الأساليب الخطابية بشكل لاشعوري» (قاسمي واردلان، ١٣٩٧: ٣٩).

والأيديولوجيا من منظار فيركلاف عبارة عن رضوخ المعاني لهيمنة السلطة" وبعبارة أدق و أصح: إنّ الأيديولوجيا يساند روابط السلطة بحضوره الواسع في المجتمعات التي يحكمها النظام الطبقي والجنسي ولذلك: إنّ الخطاب في المجتمعات القائمة على الأساس الأيديولوجي يتجه نحو جهاز السلطة ويصطبغ بصبغته ويعمل على تحقيق أجنداته وطموحاته (يورغنس و فيليبس، ١٣٨٩: ١٣١). «إنّ السلطة فضلاً عن دورها في قيادة المجتمع، يقود المجالات الاقتصادية والسياسية والثقافية والأيديولوجية أيضاً. والسلوك الظالم والجائر الذي تمارسه السلطة في حق بعض طبقات الشعب يؤثر -شئنا أم أبينا- على توسيع الفجوة الطبقية في المجتمع ونشوء الخطاب الذي يخص طبقة الاغنياء والخطاب الذي يختص بشريحة الفقراء والمعوزين أيضاً»(فيركلاف، ١٣٧٩: ١٠١).

تحليل علاقات السلطة في الرواية والاحداث التي اعقبتها يفيد بأنّ الانظمة الأمنية والسياسية والاقتصادية لها دور هام في استمرار السلطة، كما يفيد أنّ الناس يطبقون شريعة الغاب خوفاً على مصالحهم وحماية لعوائلهم. يعتقد فيركلاف: «إنّ السلطة يتم ممارستها طوعا أو كرها. وفي الطريقة الطواعية تفرض الحكومة اوامر أو نواهي على أفراد أو مجموعات تكون ملزمة للجميع وفي طريق الكراهية تسيطر الحكومة على المعترك السياسي والاجتماعي وتحاول اخضاع الافراد والجماعات للقبول بالأيديولوجيات وذلك عبر تقنيات اللغة والأدب والإعلام»(فيركلاف، ١٩٨٩: ٣)

٢. البحث الأصلي

كما أسلفنا سابقا: إنَّ الخطاب النقدي يهتم بدراسة الأساليب المستخدمة لإيصال الرسائل في نطاق الظروف السياسية والاجتماعية والأيديولوجية السائدة في المجتمع. ومن ثم يقوم بتحليلها تحليلاً شاملاً ومن جملة نظريات الخطاب النقدي يمكن الإشارة إلى نظرية نورمان فيركلاف. يرى فيركلاف بأن تحليل الخطاب النقدي هو أداة لرصد التغيرات الاجتماعية والثقافية وتحري دور السلطة واللغة والأيديولوجيا فيها. وقد قمنا بدراسة رواية "أحدب بغداد" دراسة تقوم على أساس تحليل الخطاب النقدي وعلى ضوء آراء واتجاهات نورمان فيركلاف.

٢-١. المؤثرات السياسية والأيديولوجية والحكومية واللغوية في رواية "احدب بغداد"

من أبرز المواضيع التي يجب أن تؤخذ بالحسبان في تحليل الخطاب النقدي على ضوء مدرسة فيركلاف هي الأديولوجيا والسلطة واللغة. ومن أهم الأهداف التي يتوخاها الناقد هو الكشف عن خبايا الرواية وبالتالي مدى تفاعل النص مع الأيديولوجيا والسلطة . وفي القصة هذه، اصحاب مراكز القوة والسلطة لايقدرون على توفير إمكانيات العيش كما يليق بالشعب. وإنّهم يمارسون التمييز والظلم والاضطهاد بحق الرعية مما يؤدي إلى ترسيخ روابط السلطة والأيديولوجيا في ربوع المجتمع. ويفيد تسلسل أحداث القصة بأنّ السلطة هي أهمّ وأكبر ركيزة من ركائز المجتمع ولها أكبر وأهمّ دور في تشكيلته. كما أن الخطاب والأيديولوجيا يخضعان لسيطرة الحكومة أيضا. تتحدث رواية "أحدب بغداد" عن جماعة من الحكام؛ ممّن يقودون المجتمع نحو الأيديولوجيا الذي يطمحون اليه.

والأمر ينطبق تماماً على أحدب بغداد كمواطن يعيش في ظلّ هذه الظروف التعيسة. حيث إنّه لم يألُ جهدا في ارتكاب الخيانة والجرائم لتحقيق مصالحه الذاتية. والغريب في الأمر أن الرجل لم يفكر قطّ في سلوكه الذي جرّ على بلده الدمار والخراب وهذا ما تريده الحكومة وروابط السلطة بالذات. وفقا لما نجده في الرواية: إنّ رجال السلطة قد يقومون بتصفية المنافسين للحفاظ على المنصب ولايستثون في ذلك نواب المجلس والوزراء. كما أنّ وزير الداخلية استخدم أحدب بغداد وجلاوزته لتنفيذ مطالبه: «أحدبُ بغداد لعبَ دوراً في مساعدةِ الأجنداتِ المعاديةِ في اغتيالِ الضباطِ مِن الطيارين وتهريب الأسلحة و دفن جثثٍ لم تصدرْ بِحقِّهم شهادات وفاة، وكأنه المالكُ الشرعي لِمقبرةِ بغداد. وبَسَطَ نفوذَه بِشكلٍ غير عادي عَلَى مناطقِ بغدادَ برمّتها»(القاضي، ٢٠١٥: ٣٧)

شارك أحدب في العمليات الإجرامية التي خطّطها له وزير الداخلية الدكتور سالم كما زوّده الدكتور بأنواع المعدات وأجهزة التحكم عن بعد والعبوات الناسفة ليوزّعها بين الجماعات المسلّحة لإثارة الشغب وزحزحة الأمن. والفوضى التي أحدثتها هذه الجماعات في أرجاء المدن كانت أهول مما تثيره شرطة المباحث الفدرالية (المافيا). لقد حقق الكاتب بوصفه هذه الأحداث، أحد الأهداف التي وراء تحليل الخطاب النقدي وهو إيضاح دور روابط السلطة في المجتمع: «سياسةُ الدكتورِ معَ أزلامِه جارحةٌ وليست هَشّةً، لايَهجمُ إلَّا إذا أمِنَ العقابَ، خسيسٌ لايعرفُ كرمَ التسامحِ، إذا قدرَ عَلَى أَعَدائِه ينكلُ ولا يعرفُ الرحمةَ تلك هي قواعدُ اللعبةِ في مجالِ العملِ ـ المافياويِّ» (المصدر نفسه، ٣٠).

بناء على ما نجده في رواية "أحدب بغداد" إنّ الحكومة أو السلطة تنفّذ العديد من أجنداتها عن طريق الإرغام كما تقوم بفرض سلطتها وقوتها باستخدام العنف والقوة والاغتيال وتصفية المعارضة. العملاء الذين استأجرتهم الحكومة لتنفيذ خططها تقوم باغتيال الأساتذة وأصحاب المحلات التجارية والضباط بدم بارد ثم يدوسون على رفاتهم بابتسامة ساخرة دون رحمة ولا اشفاق. هؤلاء الجلاوزة لايتورعون عن تهديد أصحاب العلم والمعرفة أيضا. نفّذ أحدب ضمن مجموعته ١٦ عملية تفجير ما أسفر عن مقتل المزيد من الأبرياء.

تحضر "جوانة" مراسيم الجنازة بصفتها نائبة في المجلس العراقي ولكنها لاتبالي كثيراً بالجثث ويبقى حضورها في نطاق أعمال الروتين؛ يقوم بها الساسة ورجال السلطة في مثل هذه المناسبات لكسب الرأي العام. والسؤال المطروح هنا: ما هي جذور هذه الأحداث؟ والإجابة عن هذا السؤال مرتهن بمعرفة شخصيات الرواية. دراسة شخصية أحدب بغداد تفيدنا بأنها تواقة لاستغلال الآخرين. وهذه الميزة تعكس هيمنة شريعة الغاب على المجتمع؛ أي التي أثّرت على ثقافة المجتمع سلبا وشجّعت المواطنين على القيام بكثير من السلوكيات التي تأباها القيم. أحدب وأفراد أسرته ينتهزون أية فرصة لابتزاز الآخرين.

وقد ترسّخ فيهم هذا السلوك حتى صار سمة لهم. ثم تخطّوا ذلك وقاموا بسرقة الأولاد الحديثي الولادة واستبدالهم بأولاد موتى للحصول على كميات هائلة من المال جراء قيامهم بهذه الأعمال البشعة: «نَعَم، كانَ الجميعُ في سِجنِ أبى غريب ينتظرونَ تنفيذَ حكمِ الإعدامِ فيهم، جبارُ وأولادُه متَّهمون بسرقةِ أعضاءٍ بشريَّةٍ والتلاعُبِ بشهاداتِ المتوفين... وشهودٌ أكَّدُوا اقترافَ

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

جَبارٍ جريمةَ اغتصابِ فتاةٍ كانتْ قد فارقَتِ الحياةَ وهي بعمر ال ١٥ عاما... أمّا زوجتُه فقد كانتْ ضالعةً في عملياتِ تزويرٍ وكانتْ تُبدِّلُ الاطفالَ حَديثي الولادةِ بأطفالٍ مَوتَى وَإيهَامُ الأمِّ بأنها وُلدِتْ طِفلاً فَارقَ الحياةَ بعدَ الولادةِ وبالتنسيقِ مَعَ موظَّفي المُستشْفَى»(القاضي، ٨).

والميزة الأخرى التي تميز بها أحدب هي ميله إلى الاستقلال بعمله والوصول إلى الكفاءة الذاتية ونرى هذه النزعة في تصرفاته بشكل لاغبار عليه. وهذه الحاجة الملحّة كانت ناجمة عن بيئة العراق وتقاليدها؛ وذلك لأن المواطن العراقي لاتسمح له التقاليد السائدة ان يكون عالة على الآخرين. بل تملي عليه أن يعتمد على ذاته ويستغني عن الآخرين مهما كلفه من ثمن: «لكن الأحدبُ بَقي غيرَ مَرئِيٍّ بَلْ وازدادَ عناداً ونشاطاً فِي الأجرامِ.. ثم بَدأ نشاطَه وإجراءَ الصفقاتِ معَ أشخاصٍ مِن خارجِ البلدِ، وقَرَّرَ أن يَستَقِلَّ بعملِه بَعدَ أَنْ تَأكَّدَ بِأنَّ الجميعَ قد تَخَلّوا عَنه وَلَم يَعرفْ بعدُ بأمرِ التابوتِ الَّذي زادَ مِن الأمرِ سوءاً» (المصدر نفسه ١١٠).

والميزة الأخرى التي تميزت بها شخصية احدب، حبه الجامح للفوز على منافسيه والاقتصاص منهم. وفي الحقيقة أنّ الذي دفع أحدب على أن يسعى وراء الانتصار هو طموحه إلى الصيت والاشتهار «كانَ نشاطُ الأحدَبِ قد تَطَوَّرَ وَلَمْ يَلبثْ إلّا وقد فاقَ العملياتِ العاديةَ.. عندما أمَرَ أفرادَه بِارتداءِ زِيِّ المجاهدينَ وتصويرِهم وَهُم يَقُومُون بِنحرِ الرَهَائِنِ. وَقَد جاءَ بِتَحسينٍ وسَلَّمَه الى علوش كَما وَعدَه سابقاً.. وفعلا ثُمَّ نحرَه أَمامَ الكاميرا بِاعتباره عميلَ لأمريكا وَلكن العواقبُ لَم تنتهي بَل ثارتْ وأَحرقتْ مصيرَ الأَحدَبِ» (المصدر نفسه، ٨٥).

ومن ميوله الأخرى التي تدل على اضطرابه نفسياً هي جنوحه إلى الجاه والمنصب لدرجة أنه لم يتهاون في نيل منصب رفيع. ومن الجدير ذكره بأنَّ هذا السلوك ناتج عن الظروف السائدة على العراق والفقر الذي جعل الأفراد لا يهتمون سوى بمصالحهم الذاتية وما يضمن لهم البقاء من المنصب والمال«ضَحِكا ضحكةً عاليةً ثُمَّ قالَ ـ علوشُ(متسائلاً): هل سَتُصَوِّرونَ العمليةَ؟ بِالتأكيدِ وإلا فما فائدةُ صرفِ المبالغِ الضخمةِ.. وأنتَ سَتكونُ بينَ الملثمين.. وأشبِع رغباتِك مِن الآن فصاعداً فلا حسابَ ولا كتابَ ولا قانونَ بعدَ الآن»(المصدر نفسه، ٢٤) .ربما من أسباب رغبة أحدب في السلطة إخفاقه في الحب؛ حيث إنَّه أخفق في الزواج من إمرة جميلة وقد اعترف بصراحة بهذه الخيبة؛ لذلك يتلذذ بجثمان النساء الجميلات اللوائي وقعن بين يديه في مغسلة الموتى بلاحراك دون وازع ولارادع.

انظر كيف يصف الراوي هوس أحدب وشهوته لمضاجعة سيدة جميلة فارقت الحياة وهي مستلقاة على حجر المغسلة بجسدها الفاتن ومغرياته كما تبدو في نظر بطل القصة: «فِي ليلةٍ كَاحلةٍ كانت مِن ضمنِ الجثثِ فتاةٌ شابةٌ شقراءُ، وبالرغمِ مِن مفارقتِها لِلحياةِ فقد كانت تبدُو أَشَدَّ جمالاً، كانت ضَحِيةًَكَبقيةِ الأمواتِ ... إِستَغلَّ الأحدبُ انشغالَ عُمّالِه بِدفنِ الجُثَثِ وتوجَّهَ نَحوَها ولَمسَ خَدَّيها بِابتسامةٍ تنمُّ عَن اللئمِ والخُبثِ معاً: لو كنتِ على قيدِ الحياةِ هَل كُنتِ تَسمَحينَ أحدبَ مِثلِي أن يلمسَ وَلو شعرةٌ منكِ؟. كَلَّا (قالَ بِصوتٍ قويٍّ) ولكن الآن أَستطيعُ اغتصابَك بينَ هؤلاءِ الأمواتِ، فكلُّكُم الحياةُ فيكم (ثم همَّ بِفتح أزارِ بِنطالِه وَلولا دخولُ سلمانَ الغرفةَ بغتةً ومشاهدتُه مَا يقوم بِه أَبوه لَمَّا تَراجَعَ الأحدبُ وتَظَاهرَ بِأَنَّه يَتَفَحُّصُ جُثثَ الأَمواتِ»(المصدر نفسه، ٥١-٥٢).

والشخصية الأخرى التي لها إسهام كبير في التخطيط للجرائم هي شخصية فخري؛ مساعد وزير الداخلية وهو الذي يتآمر ويتواطئ مع الوزير لدسّ العملات الصعبة في التابوت بالتعاون مع أحدب. وفي نهاية المطاف يقرّر التملص منه. لقد خطّط فخري لاغتيال وزير الداخلية أيضا طمعا في خلافته حسبما وعده بذلك أحد كبار السّاسة. وقد استخدم فخري لقتل الوزير عميله عزالدين الخطيب. وبما أن الخطيب كان سجيناً، صمم فخري على التخطيط لهروبه من السجن متهما تنظيم القاعدة بذلك. وفي الحقيقة أراد بذلك التمهيد لقتل الوزير؛ لانه كان يراه عائقا دون وصوله إلى الوزارة.

وقد شرح القاضي في روايته الخطة التي رسمها فخري لاغتيال الوزير بحذافيرها. كان شغف الرجل بنيل منصب الوزارة كبيرا وكانه بركان متفجر انهالت حممها على كل من كان بقربه. وهي تنم عن نفسية مضطربة لايقر لها قرار: «بعدَ عدَّةِ شهورٍ سنحت الفرصةُ لِتهريبِ ملايين الدولارات إلى خارجِ القطرِ مِن قبلِ وزيرِ الداخليةِ، وفَكَّرَ ايضاً في تهريبِ التابوتِ، وقد أجرى اتصالُه لهذا الغرضِ معَ فخري. ولكن ما لم يكن في الحسبانِ أن فخري قد جَهَّزَ خطةً قاتلةً لِاغتيالِ الوزيرِ وأن يستولي على مالِه وَمنصبِه كما وعدوه المسئولون... وأيضاً لن يتهاون في خطفِ نورهان.. وعملياتُ الخطفِ ليست بِجديدةٍ على فخري وأنّه لا يقل عن أجرامِ عدي صدام حسين بل تعدّاه» (المرجع نفسه، ٩٢)

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

كانت نفسية فخري التوّاقة للمنصب لم تقتنع بمنصب الوزارة بل تحوّل حبه للسلطة إلى ظما لايرويه سوى تأسيس إمبراطورية عملاقة ذات قوة لاتنتهي: «أَنَّها دُولاراتٌ، الطاقةُ، رمزُ الامبراطوريةِ الَّتي سَيَتَّكِلونَ عَليها.. إذَن ودَاعاً أَيُّها الأحْدبُ، سَوفَ نُقيمُ إمبراطوريتَنا ونكُونُ الأَقوَى.. عطرُ المالِ عشّ فِي حنَايا الروحِ وَسيُوَدِّعانِ أسمالَهم البالية، ويَشُمُّونَ أَرقَى بُودرةٍ بيضاءَ من درجةِ السلاطين، كانا يَتَناشَجيانِ عَلَى الأيامِ الَّتي مَضَتْ»(المصدر نفسه، ٩٣).

لو درسنا الأفعال التي يقوم بها فخري بدقّة لألفينا أنه يعاني أيضاً من عقدة النرجسية وما يؤيد ذلك أنّنا نرى فيه الكثير من الحالات والأعراض التي تخصّ الشخصيات النرجسية كالشعور بالكبرياء والعظمة والتفكير الدائم بالنجاح والقوة والجمال والفذاذة والقدرة المفرطة والانجذاب إلى استغلال الآخرين بدل مواساتهم والاستخفاف بقدرات الناس والإحساس بالتيه والتبختر والاختيال: «لَم تُصَدِّق نورُ مَا يحدثُ فَقَد أَدركَت بعدَ وقتٍ طويلٍ أَنَّها لَيست فِي كابوسٍ تستيقظُ مِنه وترمَي بعدَه فِي أحضانِ أمِّها ..بَل لعنةٌ مِن بني الذئابِ اجتَاحَتها فجأةً. ولَم يُسعِفها الصراخُ فقد بَحَّ صوتُها وضَعُفَت ثُمَّ استَسلَمَت لِلأمرِ الواقِعِ، انتفضَ جسدَها ... فتعجن البكاءَ مكلومٌ في أعماقها بدونِ أَن يَنتَهِي لحظاتٌ عذابِها.. وَاصَل فخري كلامَه باستهانةٍ: كُلُّ امرأةٍ تُعجِبني يجبُ أَن تكونَ مِن نَصيبي وأنتِ كنتِ أرقَى مِنهُنَّ»(المصدر نفسه، ٥٤) .ومن أهمّ ميزات السلطات الحاكمة على العراق عدم الاهتمام بالمساواة بين مختلف فئات الشعب ما أفضى إلى ممارسة التمييز بين الموالاة والمعارضة وبالتالي إقصاء جماعات من الشعب.

وقد عبّر القاضي ببراعة فائقة عن ظاهرة التمييز في المجتمع العراقي على مختلف المستويات كما بيّن الخلافات الثقافية العميقة المتمثلة في اللغة والخطاب ومن أبرزها التصرف العنيف والقاسي مع النساء ولاسيما الفتيات اللوائي يصبحن فريسة لميول الحكام الطاغية وشهواتهم الجامحة. وعلى سبيل المثال ولاالحصر، ثمة فتاة حسناء اسمها"نور" وشاب اسمه خالد راحا ضحيتين لاطماع ذوي السلطة. بناء على ما مضى: إنّ الأيديولوجيا أداة تخدم مصالح السلطات الغاشمة. وفي السياق ذاته: إنّ الخطاب عبارة عن شكل من أشكال العلاقات الاجتماعية التي تتأثر بروابط السلطة. وفي الوقت عينه يترك تأثيره وبصماته على العلاقات الاجتماعية. من هنا يمكن القول بأنَّ الخطاب له تأثير متبادل على الحياة الاجتماعية والثقافية بكل جوانبها ومستوياتها.

٢-٢. تحليل البنية الأدبية والمكانية للرواية على ضوء نظرية فيركلاف

في هذا الجزء من المقالة نقوم بتحليل الرواية على المستويات الثلاثة وهي المستوى الوصفي والتفسيري والبياني بادئين بالمستوى الوصفي: نبحث عبر التحليل الوصفي عن ميزات الرواية الشكلية واللغوية. والخصائص الشكلية المكوّنة للنص تكون بمثابة مجموعة من الخيارات التي تتعلق بالمفردات وقواعد اللغة. هذا التحليل الذي يتم بطريقة مجردة وبمعزل عن سائر المؤثرات الاجتماعية والأيديولوجية ونحاول فيه الإجابة عن الأسئلة التالية: «أوّلا: أي نوع من العلاقات الدلالية باقسامها الثلاثة وهي التضامن والاشتمال والتضاد يوجد في كلمات النص؟ ثانيا. ما هي القيم التجريبية الواردة في النص؟ ثالثا. ما هي العوامل المؤثرة على القواعد؟ رابعا. هل الجمل الواردة فى النص بنيت على الفاعل أم المفعول؟. هل الجمل إيجابية ام سلبية؟ هل الجمل خبرية أم سؤالية ام أمرية؟ خامسا. أيّ نوع من الاستعارات استخدمت في النص؟ سادسا. ما هي القيمة الأدبية التي تحظى بها المفردات؟» (فيركلاف ١٣٧٩: ١٦٧).

٢-٢-١. دراسة رواية "أحدب بغداد" على المستوى الوصفي

إنّ المفردات التي وظفها الكاتب في النص تتعهد وصف الظروف السائدة في العراق في تلك الفترة بالذات كما تُصوّر قضايا الحرب والاغتيال والقتل والاتّجار بالأعضاء البشرية وتهريب الانسان (البنات والنساء بلاماوى والاتّجار بالجنس) وتهريب المخدرات وانتهاك القوانين: «فخري قد أعدّ كلَّ شيٍ في غصون ساعات قليلة- اختطافُ بنتٍ عذراء -فلا قانونَ في العراق ومثل هذه الحوادث تتكررُ باستمرار وبسهولةٍ في هذا البلد الغريبِ بقوانينِه وسُلطتِه، دون مُسائلةٍ جديّةٍ أو ملاحقةٍ للقاتل، فالعراقيون يعيشون في قانونِ الغابةِ. الخونةُ من أبناء البلد مزّقوا العهدَ قبلَ المحتلِ ... ولم يعد لهذا الوطنِ من صاحبٍ» (القاضي، ٤٦).

وقد أشار الكاتب في المقطع السابق إلى بعض المصائب التي تعاني منها العراق والتي حوّلت البلد حسب تعبيره إلى بلد لاصاحب له. وفي المقطع التالي نجد بعض المفردات التي تتماشى مع الأوضاع التي يعيشها المجتمع العراقي مثل: الموت والبكاء والدم و... هذه الكلمات تعطي صورة واضحة عن البلد وعن الأيديولوجيا الذي يحكمه: «في اليوم الثانى حدثَ انفجار كبير في منطقةِ بغداد الجديدةِ، أشلاءُ تطايرت على مفارق الطرقات والشوارع...وأصواتُ نواحٍ وبكاءٌ ودماءٌ غطَّتِ الشوارعَ والأرصفةَ فبغدادُ على موعد يومي معَ الموتِ»(المرجع نفسه، ٤٨).

العاطفة في هذه الرواية تبدو بسيطة وصادقة بحيث تجعل القارئ وكأنه يعيش الحوادث بلحمه ودمه. نجح الكاتب في وصف مختلف حالات السرور والفرح والحزن والخيبة والقنوط. «والمفردات هي التي تنقل العواطف إلى المخاطبين كجسر تواصل. على سبيل المثال، كلمات المتكبر واللئيم والغضبان والوضيع والقلق. هذه الكلمات يصوغها الكاتب على شكل الاسم والصفة والقيد و...ومن ثم تسربلت مفردات النص بسرابيل تاريخية وثقافية وجغرافية واجتماعية»(شعيرية، ١٣٩٨ :١٤٤) .

وفي المقتطف التالي نجد الكاتب قد أعرب عن استياءه من العيش في بلد كالعراق على لسان أحدى شخصيات القصة وهي الهام "التي تودع خطيبها" نبيل" لكي لاتعيش في العراق. الكلمات التالية التي تجري على لسان" الهام" تفيض بعاطفة الانزعاج والنفور«كَانت فرحةً جداً وَهِي تقولُ فِي نفسِها: وداعاً أَيُّها البلدُ المحروقُ، يَا بلدَ الحروبِ لَن أَعُودُ إِلَيك مُجدداً حَتَّى وَلَو اختَارُوك قِبلةَ العالمِ» (القاضي، ٨٣). المفردات المشحونة بالعاطفة ليست وليدة ليلة وضحاها بل تراكمت فيها العاطفة على مدى الأعصار. فلم يكد الكاتب يوظفها حتى تبعث في نفوس المخاطبين عاصفة من الأحاسيس السلبية او الايجابية. طائفة أخرى من المفردات تتعلق بحب الوطن والحرية والتحرر من الاستعمار وإقرار الأمن ونستطيع أن نصنّف هذه الكلمات في نطاق الكلمات ذات مفاهيم ايديولوجية .

وفي المقطع التالي نمرّ على بعض المفردات التي تحمل مضامين أيديولوجية «وكل يومٍ يولد نسل جديد من المليشيات تحت شعارات مزيّفة أرهقت الناس... وبكاء الارامل المكلوم يواصل نحيبه، ويفيض عن حاجتهن... عيون تتبادل الانكسار وحمحمة الروح تصهل، وتذوي .السنواتُ العجافُ على العراقِ تتقطر ماءاً مالحاً»(القاضي، ٦٩).

وأمّا من حيث القواعد فإنّه كما أسلفنا سابقا: إنّ القواعد المستخدمة في النص تكاد تكون بسيطة وبعيدة عن التصنع والمجازفة. والقواعد في هذه الرواية شان المفردات تصوّر الأحداث الواقعية التي جاءت حصيلة عدم قدرة المسؤولين على إدارة الأمور: «لأن الدولةَ فاشلةٌ وسياسيوها هم بلطجيةٌ وليس مِن أهلِ ثقافةٍ بل خرّيجوا سجون و شوارع ... لايكترثون بما يحدثُ من خللٍ فى الأمانِ وفسادِ وقتلِ، ولو تم الإصلاحُ الأمني والإداري فهذا معناه أن هؤلاء

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

سيتمّ تصفيتُهم والقضاءُ عليهم لأنهم السببُ الأساسي في الصراعِ الطائفي والإنساني في العراقِ»(المصدر نفسه، ٦٠).

معظم الضمائر التي وظّفها الكاتب في قصته هي ضمائر الجمع والسبب في ذلك يعود إلى أنّ الكاتب ركّز على العديد من مشاكل الشعب العراقي وآلامه كمعاناة النساء وما يتعرضن له من إساءة واغتصاب وتعذيب وقتل. والغريب في الأمر بأنّ النساء لسن بمأمن عن الاعتداء حتى في مغسلة الموتى. وهذه القضايا تنمّ عن الأوضاع المتفاقمة في العراق والتي استبدلت النساء الأحرار إلى الإماء وخادمات المنازل: «أصبحت مكانا للتجارةِ والاغتصابات اللامتناهيةِ ... ولوقدر الله وسمعنا شكوى الأمواتِ مِن فعلِ الأحياءِ بِبعضِهم، ولسمعنا حشرجةَ الصدى والبكاءِ يمزق أسماعَنا، فقد جفّت ينابيعُ الرحمةِ في الأرضِ، الثاكلاتُ والأراملُ ماهُنَّ إلا جارياتٌ في زمانِنا المُغبر، يتشغّلن خادماتٍ ويكُنّ مصدراً للاغتصاب بل والقتل»(المصدر نفسه، ٥٢) .«وأما الاستعارة في كلمات فيركلاف فآلية تساعد على تصوير الآلام التي يعانيها الشعب وليست فقط اداة للتنميق والتمويه»(فيركلاف، ١٣٧٩: ١٨٣)

إذن، الاستعارات في رواية "احدب بغداد" تشترك بكونها مرتبطة ارتباطا وثيقا بباقي عناصر الرواية كالشخصيات والأحداث والأيديولوجيات. وأوّل ما يسترعي انتباه المتلقّي هو عنوان الرواية"الذي يحمل في طياته استعارة رائعة ولا غرو إذ أن عنوان «الرواية تُعتبر بوابة يدخل القارئ عبرها الى عالم الشخصيات والمعاني والأحداث والزمكنة و...» (حسنية، ٢٥: ٢٠١٣). لقد اختار الكاتب لروايته عنوانا جميلا يكشف عن براعته في هذه التسمية. "أحدب بغداد ": في الحقيقة تسمية مستعارة تتضمّن رسائل عديدة. ثمة، احتمالان لهذه التسمية. الاحتمال الأول: تعبير استعاري عن المشاكل والهموم المكثّفة والمكدّسة على كاهل الشعب العراقي والاحتمال الثاني: هو أنّ الكاتب يريد أن يشير إلى الظروف التي شكّلت شخصية الأفراد كما أن البطل الرئيسي للرواية (أحدب بغداد) قال بصراحة بأنّ الظروف السائدة في المجتمع هي التي حوّلته إلى من يشكّل خطرا على الأفراد والمجتمع. وهو المجتمع الذي تحكمه شريعة الغاب والفوضى. والمجتمع الذي إمّا أن تقتل فيه الآخرين أو يقتلونك كما يجب عليك أن تسرق اذا لاتريد أن تنام جائعاً في الليل. وقد وضع كاتبنا في النص التالي أصبعه على بعض هذه المشاكل: «مهازلُ الانتخابات حلت، وحل معها خوفٌ وقلقٌ جديدٌ، فما من حاكمٍ مضى إلا وجاء الاسوأ منه،

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

والشعبُ يتذمرُ ويتدمرُ بينَ مقصلةِ الرعبِ والموتِ. فالإعلاناتُ المزركشة تحملُ بينَ طياتِها صوراً لأشخاصٍ وكأنهم رعاةٌ غنمٍ ينوون الفوزَ بالرئاسة، ناهيك عن تبرعاتهم الرخيصة مِن دجاج مشوي أو بضع مخدات وأغطية يضحكون بها على الشعبِ بغيةَ كسبِ أصواتهم. ومن هبّ ودّب أضحى الآن سياسياً»(القاضي، ٧١).

استثمر رياض القاضي للتعبير عن نواياه مفردات صريحة شفافة لاغموض فيها ولاتعقيد، ولذلك تمكّنَ من وضع المخاطب المتلقي في صورة المجتمع العراقي ولهذه المفردات: الأمن والقتل والقنبلة وأدوات القتال حضور واسع جداً في الرواية. والجملات المستخدمة فيها مبنية للفاعل في الأغلب لتوحي إلى كون الشخصيات فاعلة مؤثرة تقول ما تريده في صراحة وجرأة: «مِن أين سنبدأ؟ حي الشعبِ- سوقُ الشعب - البدايةُ جيدةٌ، هناك يضجُ السوقُ بالخلق .. وسنصطادُ أكبَر عددٍ مِن الجثثِ... مكتبي هناك وسيتكفل بهم. -خبثُك لاحدود له ... مكاتبك تنتهز فرصاً جيدة الآن. - المهمُ أن تقبضَ مالَك، كبسة زر ب ٥٠٠ دولار وسيتم إنهاء الأمر على انه تفجير انتحاري، هذا ما تريده الحكومة الجديدة» (المصدر نفسه، ١٣).

وكما نلاحظ في المقطع السابق من الرواية، بأنّ مفردات: سنصطاد أكبر عدد من الجثث" و"سيتكفّل بهم" و"مكاتبك تنتهز " و" تقبض مالك" و" تريده الحكومة " و...كلها جمل بُنيت على الفاعل لتدلّ على الفاعلية والقصد والارادة. وأما فيما يتعلق بالمفردات التي تحمل رسالة أيديولوجية فإنّها كما أشرنا سابقاً تحتوي على القيم السلبية من قبيل السجن والاغتيال والقنبلة وأنواع الإساءات التي مورست بحق المجتمع ثم إنّ المفردات الدالة على الأيديولوجيا تصوّر التصرفات الخاطئة التي تصدر من الشريحة الحاكمة والعصابات المنتمية إليها: «العصاباتُ تتسكعُ في الشوارع وسرقةُ البنوك أسهلُ حتى مِن شربِ كأسِ الماء. السياسيون جهلةٌ، أغبياءٌ وبلا مبادئ، المالُ معبودُهم. والسرقةُ دينُهم، والمغامرون هداتُهم. مجموعةُ أوباش يعملون في اجهزةِ الدولةِ، حتى رئيس الوزراء لعبة بيد أسياده. كلّ يومٍ يتسربلُ السياسيون بالفضائح» (المصدر نفسه، ١١٥). من الملاحظ في المقتطف السابق بأنّ مفردات «العصابات وسرقة البنوك وجهلة وأغبياء وبلامبادئ والمال والمغامرون والأوباش والفضائح» (المصدر نفسه) مثقّلة بالمعاني والقيم السلبية التي تفضح الساسة الفاسدة والطغمة الحاكمة الفاشلة التي لاتفكّر إلا في سرقة أموال الناس ونهب ثرواتهم على يد عصاباتها وميليشياتها الاجرامية.

أغلب الجملات التي وظفها الكاتب في الرواية، هي جملات اسمية ولغة الرواية لغة بسيطة وعارية عن التعقيد. وهذا لو دل على شيء فهو يدلّ على أنّ الكاتب أراد في روايته إعطاء صورة واقعية صادقة عن الظروف العصيبة التي مرّ بها البلد؛ حيث يستطيع المخاطب المتلقي أنّ يستوعب الأوضاع الرهيبة التي جعلت البلد تنزلق نحو شفير الهاوية. «الشوارعُ ميتةٌ... والحياةُ نائمةٌ ومغلقةٌ بالظلام، ولابصيصَ نورٍ في البيوتِ، وكأنها تطردُ كلَّ شئٍ بصرامةٍ ووحشيةٍ... لايطرقُ النومُ عيونَ الشعبِ فهم مهدّدونَ بالاقتحامات مِن قبل المحتلّ أو الميليشات التي برزت وأعلنت سيطرتها على العراق تحتَ قانونِ الترهيب الجديد»(المصدر نفسه، ١٦-١٥).

لايخفى أنّ معظم الجمل التي استخدمها الراوي جملات اسمية ك" الشوارع ميتة " والحياة نائمة" و ...«أمّا من منظور بلاغي فيجب القول بأنّ الجمل الفعلية تدلّ على الحدوث والتجدد كما أنّ الجمل الاسمية تدلّ على الثبوت والاستدامة»(حسن، ١٣٨٨: ١٣٢/١). والأمر الذي دفع بالرياض إلى ان يُكثر مِن استخدام الجمل الاسمية هو الإفصاح عن الفوضى العارمة في الظروف السياسية والاجتماعية للعراق. والصور البلاغية التي استعملها الكاتب في الرواية ساذجة وخالية عن التعقيد على النحو الذي تتبادر إلى الاذهان بسرعة. فالتشبيهات التي ضمّنها في أثره تساعد المخاطب على تلقّي المعاني مع أنها لا تشتمل على أية غموض في صياغتها. ما أورده رياض في المقطع التالي من التشبيهات البسيطة خير دليل على ذلك: «نَهَضَا ثُمَّ قَامَ سَرَمَد بِتَوصِيلِ جَبَّارٍ قُنبورةَ إِلَى بابِ الدَّارِ، وعِندَ البابِ غَادَرَ قُنبورةَ وَوَقَفَ سَرمدُ يرقبُه حَتّى تَواري فِي الشّارعِ الخَالِي المُظلمِ، فَكَّرَ طَويلاً فِي عرضِ الأَحدبِ، فَهذا الثعبانُ لَمْ يَسْكُنْ يوماً، حرَكَتُهُ المستمرةُ تجعلُ فرائسَه مُشَتّتةَ الذِّهنِ غيرَ قادرةٍ على مَعرفةِ أيِّ طريقٍ سَتأخذُ، وأيُّ سرعةٍ سينهجُ لِلانقضاضِ»(القاضي، ١٣).

نرى أنّ الكاتب شبّه أحدب لذكاءه وخبثه ودهاءه بالثعبان الذي يشتّت ذهن فريسته ثم ينقضّ عليها على حين غرة منها. انظر كيف صوّر رياض في مشاهد واضحة ومؤثرة، الكوارث الأليمة والفواجع التي شهدها العراق في أيامه المظلمة إثر الاحتلال الأمريكي حيث تناثرت الجثث و رؤوس القتلى في الشوارع والطرق والحروب الداخلية عمّت الارجاء وخلت المدن من سكانها واحتلها الجنود الأمريكان والمرتزقة: «سنةٌ سوداء تمرّ بالعراق، وكيف تمُر؟ لم تشهد الغزواتُ مثلَ ما يحصل الآن، رؤوسٌ مُقطعةٌ مرميةٌ على مفارق الطرق، لاسياراتٌ ولابشرٌ في

المدينةِ، أين نحن؟ ربّاه ماذا يحصل العراق؟ أهذا ما وعدنا به جورج دبيلوبوش من ديمقراطية و عراق جديد؟ كان هذا السؤالُ يدورُ في الخُلد كلّ عراقي» (المصدر نفسه، ۲۲). السعة المكانية في الرواية تشمل العراق بكل مساحتها وجغرافيتها وكذلك لندن التي يهاجر إليها بعض شخصيات الرواية مع ذكرياتهم وأحزانهم التي تجيش بها صدورهم. والشخصيات التي يمثّل كلّ واحد منهم الطبقة التي ينتمي إليها في وطنه قد أجبرتهم مصائب الاحتلال على توضيب حقائبهم ومغادرة البلد رغم أنوفهم.

۲-۲-۲. دراسة المستوى التفسيري للرواية

والمستوى الثاني من مستويات الخطاب النقدي سمي بالمستوى التفسيري "وفقا لنظرية " فيركلاف" و «هو الذي يدرس الروابط التي تربط بين النص وآلياته الاستراتيجية التي توصل رسائل الكاتب إلى المخاطب المتلقي» (فيركلاف، ۱۳۷۹ :۱۲۵) وفي هذا السياق سوف نفسّر ومن خلال الآليات اللغوية واستراتيجيات الخطاب النقدي الأفكار الرئيسة والقيم التي يريد الكاتب ايصالها إلى القارئين عبر روايته. ومما يدلّ على أهمية المستوى التفسيري هو ما قاله فير كلاف بخصوص دوره في تقييم النص «إنّ النصوص الأدبية يتم تقييمها على اعتبار مدى نجاح الكاتب في التوثيق بين المستوى التفسيري وسائر أجزاء النص وذلك عبر تنفيذ آليات تحليل الخطاب النقدي اعتمادا على ما اقترحه فيركلاف في أقواله. المستوى التفسيري يبيّن للقارئ بأنّ أولئك الذين لهم دور في الاحداث ليسوا مستقلين عن بعضهم وفي هذا المستوى نواجه أربعة تساؤلات هي: أولاً. ما هي الأحداث الرئيسة؟ ثانيا. ومن هم الضالعون فيها؟ ثالثا.ما هي العلاقات التي تربطهم معا؟ رابعا. ما هو دور اللغة في تسلسل الاحداث ؟» (المصدر نفسه، ۲۲۲).

وأمّا بالنسبة للسؤال الأول فقد قسّمه فيركلاف إلى ثلاثة أقسام هي: الأحداث والعناوين والأهداف. دراسة الأحداث تتيح لنا أن نتعرف على ما أراده الكاتب وراء عَرضه للأحداث ومن ثم يمكننا التعرف على أولئك الذين تورطوا فيها والعلاقات التي تجمعهم معاً والأهم من ذلك كله معرفة الأحداث والشخصيات الضالعة فيها وتقودنا هي إلى معرفة أوسع وأشمل للمجتمع الذي تحتضن الأحداث طالما أنّ الشخصيات يمثلون مختلف شرائح المجتمع الذي يعيشونه.

سبق أن وضّحنا بأنّ الأحداث التي تعرضها رواية "أحدب بغداد "تعكس المرحلة التي أعقبت الاحتلال الأميركي للعراق؛ حيث يروي الكاتب رياض القاضي ما خلّفته مصيبة الاحتلال من الفقر

والجهل والظلم والقتل ونهب الأموال وتهريب ممتلكات الشعب وطمس معالم الحضارة وانتشار الجوع في كل ربوع المجتمع بنبرة لاذعة. وقد أشار الكاتب في النص التالي وعلى لسان أحد شخصيات الرواية "جبار" إلى نبذة من معاناة الشعب العراقي ومآسيه: «قال جبار وهو متّكئ على الأريكة وسط الصالة الصغيرة، في بيت تهالكت جدرانه من الرطوبة، وقد تشقّقت الزوايا بشكل واضح، فلا إنارة لكي تزيح شبح الظلام من البيت… فالحرب لم يبق على شيء مفيد، لا كهرباء ولا ماء… فقط أشباح القتل تطرق بيوت ساكنيها وتقتادهم إلى مصير مجهول» (القاضي، ٦) .

كما رأينا أن جبار يتحدث و بلهجة ملؤها الحزن والأسى عن فقدان الشعب لكافّة حوائج الحياة من الماء والكهرباء والخبز والأمن والمأوى وهكذا نجد أن شبح الموت يلوح في الافق. وقال فيركلاف بشان أمية العناوين القصوى «إنّ العناوين التى يختارها الكاتب يجب أن تكون ملائمة للأحداث بالشكل الذي يستدعي الأحداث إلى ذاكرة القارئ عفوياً» (فيركلاف، ١٣٧٩: ٢٢٣).

لو نلقي نظرة سريعة على بعض العناوين التي استخدمها الرياض لأحداث قصته لوجدنا انه برع ونجح في اختيار العناوين. و على سبيل المثال ولا الحصر، إنّ اختياره لعنوان "احدب بغداد" كما وضّحنا سابقا يكشف عن مدى براعة وكفاءة الرياض في تحديد العناوين حيث انّ العنوان هذا ينطوي على الحدبة وليست الحدبة هنا مجرد عاهة اصيب بها شخصية الرواية بل هي عنوان رمزي للمصائب والكوارث التي تراكمت عبر سنين على العراق حتى تحوّلت إلى داء عضال يستعصي على العلاج. الأحداث التي طرأت على الساحة العراقية واحدة تلو أخرى ألقت بظلالها الثقيلة على كافة الشرائح العراقية سواء الأغنياء أو الفقراء. الأحداث السيئة التي يرويها الكاتب من شأنها أن تحوّل المواطن العادي إلى انسان خطر يفضّل مصالحه الشخصية على مصالح الآخرين حتى لو اقتضت مصالحه الذاتية ان يبيع وطنه ويخون أبناء وطنه فلن يتردد لحظة في ذلك.

انظروا كيف يصف القاضي بمهارة فائقة الأساليب القذرة التي يستخدمها وزير الداخلية برفقة مساعده وأحدب بغداد لتذليل الصعاب وتمهيد الطريق للوصول إلى نواياهم الخبيثة وآمالهم القذرة: «أمّا فخري فكان يؤجّجُ المواقفَ والمشاكلَ في سبيل ان ينالَ من الوزيرِ الذي بات لعبةً قذرةً تقف في طريقِه، وخصوصاً أن هناك الملايين المدفونة التي يستحقها اكثر منه ويجب

عليه الاستيلاء على المال قبل فوات الأوان. بعدَ عِدَّةِ شُهُورٍ سَنَحَتِ الفرصةُ لِتهريبِ مَلايين الدولارات إلى خَارجِ القطرِ مِن قبلِ وزيرِ الداخليةِ، وفَكَّرَ أيضاً فِي تهريبِ التابوتِ، وقَد أجرى اتصالُه لهذا الغرضِ معَ فخري. ولكِن ما لَم يَكُن فِي الحُسبانِ أَنَّ فخري قَد جَهَّزَ خُطَّةً قاتلةً لِاغتيالِ الوزيرِ وَأن يستَولِي عَلَى مَالِه وَمنصبِه كَمَا وَعَدَوه المسئُولُون»(القاضي، ۹۲-۸۸). كما رأينا في المقطع السابق بأنّ الوزير ومساعده قاما بتهريب الدولارات والأموال العامة إلى خارج البلد ما يدل على حبهم للمنصب ونهبهم للمال. أولئك الذين لايهمهم سوى تحقيق آمالهم وأمانيهم ولو استدعى ذلك، الغدر والخيانة والاغتيال. لقد كرّست طبقة الحكام والملوك جلّ اهتمامهم في مصالحهم الذاتية ولم تعبأ بمصالح البلد والشعب بتاتا.

أما السوال الثانى، فمن هم المنخرطون في أحداث الرواية؟ للإجابة عن هذا السوال الذي يصبّ في المستوى التفسيري للرواية لابد من ان نقسّم اللاعبين إلى قسمين: القسم الأول هم أبناء الشعب العراقي الذين يتعرضون لأنواع الظلم والاضطهاد والقسم الثاني هم أصحاب المناصب وكبار المسؤولين الذين يتولون السلطة ويفعلون ما يشاؤون. و لايغيب عن بالنا بأن الأوضاع الرهيبة التي تمرّ بها العراق من شأنها أن تحوّل النّاس العاديين إلى أشخاص مجرمين يقتحمون أسوا الجرائم وخير مثال على ذلك أحدب بغداد. هذا الرجل قضى طفولة مريرة وتعرّض لأنواع الإساءة والايذاء ولذلك كبر وكبرت في نفسه الاحقاد والضغائن وتأجّجت بداخله روح الانتقام من الاغنياء والمتموّلين فبات يحلم بأن يصير يوما واحداً منهم. لم يفكّر أحدب ولو للحظة في مصالح بلده وكان معظم أفكاره مركّزة فقط على الطرق التي تؤدي به إلى الثروة والسلطة. ولم تكن هذه الطرق الا المؤامرة والغدر والاغتيال والخيانة و«ودَأَبَ أحدبُ بغدادَ عَلَى تنفيذِ عملياتٍ إجراميةٍ يسندُه الدكتورُ سالمُ ويُزَوِّدُه بِكلِّ آلاتِ القتلِ وأجهزةِ التَحَكُّمِ والعَبواتِ الناسِفَةِ. ويقومُ الأحدبُ بدورِه بتوزيعِهَا بينَ جماعتِه المسَلَّحةِ التي طَغَتْ طُغياناً لم تَشهَدْ له مثيلاً حتى المافياتُ العالميةُ... يَقتلونُ الابرياءَ بكلِّ برودٍ، أَساتذةً جامعيين ودكاترة وضباطاً وَمِن ثَمَّ يَمُرُّونُ عَلَى جُثَثِهم بِبرودٍ وبابتسامةٍ جافّةٍ وحقيرةٍ وكَأَنَّهم تَوَعَّدوا أصحابَ العلمِ الويلَ»(المصدر نفسه، ٥١).

وأمّا السؤال الثالث فيما يتعلق بالمستوى التفسيري، فما هي العلاقات التي تجمع بين الاحداث واللاعبين؟ ويقول فيركلاف في هذا الصدد «إنّ الروابط التي تربط العناصر الفعالة في المجتمع مع الأحداث هي روابط السلطة والفواصل الطبقية»(فيركلاف، ۱۳۷۹ :۲۲٥). والمتتبع

في رواية "أحدب بغداد" بإمكانه ان يتحرّى العلاقات التي تجمع بين الطبقات العليا والدنيا او بالأحرى الطبقة المسيطرة والطبقة الخاضعة للسيطرة. لقد وضّح الرياض روابط السلطة والشرخ الطبقي وتداعياتهما على المجتمع العراقي ببراعة وحذق. كما صوّر التناقضات والأحقاد التي نشات من الفاصل الطبقي الرهيب وحوّلت المجتمع إلى الغابة التي تسودها شريعة الغاب.

في المقطع التالي يعطينا الكاتب صورة قبيحة عن المجتمع الذي تَحوّل إلى غابة: «الشوارعُ ميتةٌ.. والحياةُ نائمةٌ ومغلفةٌ بالظلامِ، ولابصيصَ نورٍ في البيوتِ، وكأنها تَطرُدُ كُلَّ شيءٍ بصرامةٍ ووحشيةٍ.. لا يطرقُ النومُ عيونَ الشعبِ فهم مهددونَ بالاقتحامات مِن قبلِ قوات الاحتلال أو الميليشيات التي برزتْ وأعلنتْ سيطرتَها على العراق تحتَ قانونِ الترهيبِ الجديد .كان المجرمُ واحداً ومعروفاً قبلَ ۲۰۰۳ ..والآنَ القتلةُ اصبحوا كفيالقِ الاجرامِ لا يحصون كأعدادِ الحصى ينفذون إجرامَهم بالزيٍّ الرسمي للشرطةِ.. ويقتحمونَ البنوكَ ويخطفون الوزراءَ مِن وزاراتهم كرهائنٍ.. هكذا بدأتْ الاحزابُ تَتعامَلُ معَ بعضِها البعض.. بل وحتى في بقيةِ البلدانِ لم تلعبْ الفوضى دورَها كما في العراق .وسطاءُ السوءِ يتفانونَ في زرعِ العبوات والفتنِ، والبلدُ الآن يُودعُ أياماً ويستقبلُ اياماً أخرى.. ولكن الى الأسوأ» (القاضي، ١٦).

والسؤال الأخير هو: ما هو دور اللغة ؟«ويقول فيركلاف إجابة عن هذا السؤال، إنّ اللغة تعتبر أداة لتحقيق بعض الأهداف التي يصبو إليها الأفراد أو الأنظمة»(فيركلاف، ۱۳۷۹ :۲۲۵). استخدم الكاتب في روايته الأسلوب السردي للأحداث وبلغة ساذجة وبهذا أقام جسر تواصل بين الرواية والقارئ.

۳-۲-۲. دراسة المستوى البياني للرواية

في المستوى البياني لتحليل الخطاب النقدي نقوم بدراسة التاثير المتبادل بين المؤثرات الاجتماعية ورواية "أحدب بغداد". في الحقيقة، إنّنا نريد في هذا المستوى ان نتعرف على العلاقة التي تجمع بين النص والمجتمع. ويقول فيركلاف بهذا الصدد «المستوى البياني يدرس التاثير المتبادل بين الاسباب التاريخية والأيديولوجية والسياسية والاجتماعية وبين النص» (فيركلاف، ۱۳۷۹: ۱۲۵).

ومن خلال التفسير البياني نتعرف على المجتمع العراقي الذي انقلبت فيه الموازين الاخلاقية والاجتماعية حتى أصبح عرضة للإرهاب وقتل المدنيين الأبرياء واستغلال الحكّام للسلطة. وفي

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

المقتطف التالي من الرواية جاء الكاتب بمشاهد مروعة تحدث يوميا في سنيّ الاحتلال والتي ذهبت ضحيتها عشرات من العراقيين العزل «اثنان وعشرون انفجار ضخم هزت معالمَ بغداد بعدَ منتصف النهار، كان للأحدب يد في ١٦ عملية بواسطةِ شبكتِه .وأما باقي الانفجارات فقد اعلنت القاعدةُ مسؤوليتَها رسمياً عن ما حدثَ مِن انفجار راح ضحيتَها مواطنون أبرياء. ضحايا اليوم الدامي الذي تلاشت فيه أحلام كثيرة» (القاضي، ٨٣).

والمشاهد التي ذكرناها آنفا كانت تصف المحن التي تحل بالشعب العراقي على مدار الساعة واللقطة التالية من الرواية تشير إلى جوانب أخرى من مصائب البلد وهي التهريب بثروات البلد خلسة ووسط الظلام الدامس حيث إن أحدب ورفاقه يحملون مقادير كبيرة من المجوهرات والأشياء التاريخية التي دسّوها داخل تابوت الموتى: «بعدَ منتصف الليل توقفت سيارةٌ فخمةٌ سوداءٌ تقل شخصين ضخمي الجثة يلبسان بدلةَ أنيقةَ وربطةَ عنق سوداء وقميصاً أبيض .وتم إنزالُ التابوت بعدَ أن تكاتف عليها سرمدُ وعلوشُ والشخصان حيثُ من المفروض إيداعِ التابوت في غرفةِ التجميدِ الخاصةِ بالأمواتِ في القبو» (المرجع نفسه،٦٣).

وهكذا تمكّن القاضي ببراعة فائقة من إثبات دور خطاب السلطة في تدمير البلد وإهدار ثروات الشعب والتشهير بالساسة المتورطين في الفساد هازئا بمطالبهم الحقيرة والتافهة بأسلوب ساخر. استعمل الكاتب تقنية استدعاء الماضي أحيانا، تأكيداً على دور خطاب السلطة على المؤسسات الاجتماعية والشعبية. على سبيل المثال "الهام" وهي من الشخصيات الرئيسة في الرواية تستذكر الأيام الماضية التي كانت تمضيها مع خطيبها "نبيل" في العراق وأحسّت حينها بنشوة رومنسية غمرت كيانها بأسره. ولكنها سرعان ما عادت إلى واقعها المرير حيث كانت قد غادرت بغداد إلى لندن بحثا عن حياة تتخلّص في ظلها عما تلقته في بلدها جراء الفقر والاضطراب والخيبة والقنوط. أجل، تركت هي بلدها بذكرياتها وأحبابها متجهة نحو لندن على أمل أن تبدأ في لندن حياة سعيدة كما كانت تحلم بها دوما. إلا أن آمالها سرعان ما ارتطمت بصخرة الاحباط والياس. حيث وجدت أن زوجها يخونها فطلقته وانهمكت في حياة العهر والدعارة لتأمين حاجياتها. وبلغت مآسيها ذروتها عندما أصبحت مدمنة للمخدرات تنام في الشوارع والحدائق العامة كمشردة بلامأوى وفي حال تلفظ أنفاسها الأخيرة غارقة في مستنقع الحقارة والقذارة تستعيد ذكرياتها مع خطيبها نبيل أيام كانت فيها تعيش في العراق سعيدة

عزيزة حتى بدأ الاحتلال و... «ويوماً تذكرت نبيلَ، واختلست لحظةً لتتفكرَ في حبيبها القديمِ...»(المصدر نفسه، ١٤٥) .

الاتجاه الاجتماعي للرواية ومستواه المكاني يسرد قصة جماعة فقدت كل ما تملكها بين ليلة وضحاها أثر هجوم الاستعمار الأميركي على بلدها وعدم كفاءة رجال الحكومة للذود عن البلاد المستباحة والمحتلة. المستوى الاجتماعي للرواية يتناول الأحداث السياسية والاجتماعية التي طرأت على ساحة العراق عقب الاحتلال الأميركي وسقوط الحكومة. ولاتبقى آثار الأحتلال السيئة عند هذا الحد إذ تطال كافة أطياف المجتمع العراقي والتي تتصارع على البقاء في بيئة أشبه ما تكون بالغابة. والقارئ المتتبّع للرواية يدرك جيداً كيف يصف القاضي ببالغ الروعة والافتنان، المجتمع العراقي الذي أصيب بوباء الاحتلال والحرب فتحول ساحة يتكالب فيها الجميع على الحياة:«والشعبُ قدأنهكه العيشُ المريرُ، فَترَ حماسُهم، وجفّت ينابيعُهم، وتلاشت همتُهم، وخمد ذوقُهم. فكلُّ شخصٍ جفا الحياةَ والعبادةَ والمسرات اليوميةَ البريئة. أشخاصٌ داخلَ اجسادٍ تحتَ سماء ماجت بالغبار فلا زرقةَ ولا سُحبَ ولا نجومَ ولا أفقَ. أمّا نَبيلٌ فَكانَ ثملاً عَلَى غيرِ عَادتِهِ في أَحد الباراتِ ثُمَّ رَفَعَ رأسَه بِتَثَاقُلٍ قَائِلاً: اَلمَوتُ فِي الكَونِ»(القاضي، ٨١).

يمثّل نبيل في هذه الرواية الطبقة العادية التي لاتجمعها علاقة مع السلطة ولذلك لايجد أمامه حيلة سوى اللجوء إلى معاقرة الخمر لكي ينسى معاناة واقعه المرير في عالم الثمالة ولكن حتى الثمالة لاتقدر على أن تنقذه من شقاء الحياة ولذلك يرفع شعاره الذي يدعو إلى الموت بدل الحياة. في لقطة أخرى يتطرق الكاتب الى النساء وهويتهن الضائعة. رفع الستار عن آلامهن والظروف الماساوية التي يعشن فيها في ظل الاحتلال والاستعمار. لدرجة انهن أصبحن العوبة بيد رجال السلطة المنغمسين في الخلاعة والمجون ويلعبون بهنّ وفقا لأهواءهم وميولهم الشهوانية. وقد ذهبت معاناة النساء العراقيات إلى أبعد من ذلك حيث أصبحن أداة بيد السلطة لتصفية منافسيها وإمحاءهم عن مجال السلطة: «وفي ليلةِ حمراء نادرةٌ من نوعِها قضاها الوزيرُ معَ جوانة، فتحت جوانةُ عينيها المتعبتين .... ساخذك معي الى المانيا.... فلم يكن يدرك ما يجري وراء الكواليس من أحداث، فثمةٌ لعبةٌ خطيرةٌ تدبّرها جوانةٌ مع فخري للإيقاع بالوزير والتخلص منه في اقرب فرصةٍ ..فقد بات الوزيرُ يضع سرّه في أجمل عشقه. وجوانة بدورها كانت تُعلِم فخري بكل ما كان يدور في بالِ الوزير»(المرجع نفسه، ٧٢) .

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

النساء اللوائي يبعن أجسادهن في الملاهي الليلية والمواخير ويقضين الليالي في أحضان الفسّاق والمجّان لكسب لقمة العيش خير شاهد على الأوضاع الرهيبة في العراق وفي المقابل ثمة نساء يلزمن بيوتهن وينفقن أوقاتهن بين الغسل والطهو وتربية الأولاد غير أنهن يتعرضن لأنواع الإساءة وسوء المعاملة من قبل أزواجهن فانهن لسن في نظر بعولتهن سوى وسيلة لاطفاء شهواتهم وخادمات في بيوتهم. أضف إلى ذلك أن كثيرا منهن يُقتلن على أيدي أزواجهن في إطار جرائم الشرف. لاتختص هذه المأساة بالنساء من الطبقات الدنيا او المتوسطة بل تشمل زوجات الرجال من ذوي مناصب عالية أيضا. والأسوأ بالنسبة لهؤلاء السيدات ان المزيد منهن يتعرضن لخيانة أزواجهن فهذه "نورهان " زوجة وزير الداخلية وهي تشكو خيانة زوجها. «أما نورهان فعادت كما كانت الى بيتِ أهلِها البسيطِ ..بعد أن صادرت الحكومةُ أموالَها المنقولةِ وغيرِ المنقولة، وجلست بجِوار والدتِها تنعى حظَها وتلعن الوزيرُ الخائنُ» (المصدر نفسه،١٢٣).

نستنتج من هذا كله بأنّ خطاب السلطة في الوسط العراقي قلبَ الكثير من الموازين الاجتماعية والأخلاقية وأحدث بيئة تعجّ بالكبت والاضطراب والقلق و... وبامكان المخاطب المتلقي أن يرى هذه الفوضى والبلبلة في كثير من مقاطع الرواية كالمقطع التالي على سبيل المثال ولاالحصر: «في جوٍ آخر من الخوف غير الطبيعي قام رئيسُ الوزراء ببعضِ التضحيات لإخفاء فضائحِه عن الشعبِ ...وقرّر التخلي عن بعض الوزراء بحجةِ الفساد، وتقديمِ بعضَ الاشخاص ككبش فداء على أنهم مجرمون ويديرون مليشيات طائفية.وكان من ضمن الوزراء (وزير الداخلية)الذي تخلّى عن زوجته وفرّ بجلده إلى روسيا مخلفا وراءه ضجةً اعلاميةً، ولكن كالعادة فالبلد بين حين وآخر تعوّد على مثل هذه المسرحيات»(المصدر نفسه، ١٢٣). هذا المقطع خير مثال على أن لخطاب السلطة وأيديولوجيتها دورا مفصليا ومصيريا في توجيه بوصلة البلد نحو السعادة أو الشقاء خاصة في البلدان التي تحكمها أنظمة استبدادية تكمّم الأفواه وتكسّر الأقلام كالنظام السياسي الذي نجده في رواية رياض القاضي.

النتائج

بناء على دراستنا لتحليل الخطاب النقدي: إنّ علاقات السلطة هي التي تحّدد الخطاب الاجتماعي والأخلاقي وأن أثرها يطغى على الخطابات كلها. والخطابات الأخرى تكتسب هويتها وميزاتها من الخطاب الغالب ولاسيما في الجوامع الاستبدادية. التسمية التي اختارها رياض

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

القاضي لروايته "أحدب بغداد" تسمية استعارية يريد بها على ضوء المنهج السيميائي، تصوير الشدائد والمحن التي أثقلت كاهل العراق وشعبه تماما مثل الحدبة التي تثقل ظهر صاحبها. تحليل الرواية على المستوى المكاني يفيد بأن المجتمع الذي رسم القاضي خطوطه مهدّد بكثير من الأخطار الناتجة عن سوء تدبير المسؤولين وعدم كفاءة المدراء في إدارة الشؤون وتورطهم في الفساد المالي والاخلاقي. تعتبر الرواية، قصة واقعية يمثّل أبطالها مختلف أطياف المجتمع من النساء والشباب والأفراد العاديين وأصحاب المناصب الرفيعة. وقد حاول كاتب الرواية وعبر الخطاب النقدي بمستوياته الوصفي والتفسيري والبياني إعطاء صورة واضحة المعالم عن البيئة العراقية التي تعرّضت للغزو الأميركي والاستبداد. وعلى ضوء نظرية نورمان فيركلاف: إنّ معظم المشاكل والمصائب التي شهدتها العراق باءت نتيجة لهيمنة خطاب السلطة وهو خطاب الاحتلال الأميركي والاستبداد الذي سادت ايديولوجيته وأخلاقه على خطاب الشعب.

المصادر

- آذرنوش، آذرتاش، (١٣٩١)، *فرهنگ معاصر عربی - فارسی - انگلیسی*، (ط. ١٧)، طهران: منشورات ني.
- آقا گل زاده، فردوس، (١٣٨٥)،« تحليل گفتمان انتقادی و ادبيات»، *مجلة ادب پژوهی*، (العدد الأول)، صص١٧-٢٧.
- باغينى پور، مجيد، (١٣٨٠)، «تحليلي كوتاه بر بازتاب قدرت در زبان سخن كاوى انتقادى»، *مجلة زبان شناسى*،(ج. ١٦، العدد الأول) صص٢٠-٢١.
- بيجارى؛ أعظم فرح، والآخرون، (١٣٩٢)، «مقايسه خود پنداره وسازگارى در افراد خودشيفته سازگار وناسازگار»، *مجلة مطالعات روانشناختي*،(ط. ٩- العدد الرابع)، صص٩٩-١٢٧، دانشگاه الزهراء س: دانشكده علوم تربيتى و روان شناسى.
- حسينة، مسكين،(٢٠١٣)، *شعرية العنوان في الشعر الجزائري المعاصر*، رسالة الدكتوراه، الجزائر: جامعة وهران.
- قاسمي گوراجويى؛ سجاد و اميد اردلان، (١٣٩٧)، *تحليل گفتمان انتقادى، چيستى و چرايى، رويكردهاى متفاوت، مفاهيم نظرى و بنيادى*، كرمانشاه: طاق بستان.
- شعيري؛ حميد رضا، (١٣٩٨)، *تجزيه و تحليل نشانه - معنا شناختى گفتمان*، (ط. ٧)، طهران : مركز تدوين الكتب للعلوم الإنسانية للجامعات (السمت) .

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]

- الهاشمی؛ أحمد، (١٣٨٨)، *جواهر البلاغة*، (المترجم: حسن عرفان)، (ط. ٨)، إيران: قم
- فيركلاف؛ نورمان، (١٣٧٩)، *تحليل انتقادى گفتمان*، المترجم: فاطمه شايسته وآخرون، طهران: مركز للدراسات والبحوث للاعلام.
- القاضي؛ رياض، (٢٠١٥)، *احدب بغداد*،(ط. ١)، لندن: دارالحكمة.
- ....(٢٠١٧)، *بيت القاضي العراب الاخير*، لندن: مؤسسة Iraqi الإخبارية بالانجلترا
- يورغنس؛ ماريون ولوييز فيليپس، (١٣٨٩)، *نظريه و روش در تحليل گفتمان*،المترجم: هادي جليلى، طهران: طبعة اكسير.
- ناصري، زهره سادات وآخرون، (١٣٩٤)،« تحليل گفتمان انتقادى داستان مرگ بونصر مشكان براساس رويكرد نورمن فركلاف»، *مجلة علم زبان*، (السنة الثالثة، العدد ٤)، صص ٥٨-٦٤.
- يحياى‌ايله‌اى، احمد، (١٣٩٠)، «تحليل گفتمان چيست»، *مجلة تحقيقات روابط عمومى*،(السنة العاشرة، العدد ٦٠) صص٥٨-٦٤.
- Fairclough, N, (1989), Language and power, london: Longman.

Refrences

- Azarnoush, Azartash, (2012), Contemporary Dictionary, Arabic - Persian - English, (ed., 17), Tehran: Nei Publications.
- Aqa Golzadeh, Firdaus, (2006), Critical Discourse Analysis and Literature, Journal of Adab Pejohi, (First Issue), pp. 17-27.
- Baghini-Poor, Majid, (2001), Critical Discourse Analysis: Short analysis of power reflection in languagage, Journal of linguistics, (Vol .16, No. 1), pp. 2-20.
- Bijari, Azam Farah, and the others, (2013), Comparison of self-concept and adjustment in adjustment and incompatibility, Journal of psychological studies, (The Ninth Session, Number Four), pp. 99-127, Al-Zahra university, Faculty of education and psychology.
- Hussain, Meskin, (2013), Poetry of the title in contemporary Algerian poetry, PhD thesis, Algeria: Oran University.
- Qasimi Gorajoyi; Sajjad and Omid Ardalan, (2018), Critical Discourse Analysis, what and why, Different approach, Theoretical and Fundamental Concepts, Kermanshah: Taq Bostan.
- Shoeiri, Hamid Reza, (2019), analysis of the cognitive meaning of the discourse, (7th), Tehran: Center for Compilation of Books for Humanities for Universities (Samt).

- Al Hashemi; Ahmad, (2008), Jawaher al-Balaghah, (Translator: Hassan Irfan), (2c), Iran: Qom.
- Fairclough, Norman, (2000), Critical analysis of discourse, Translated by Fatimah Shaiste Piran and others, Tehran: Media Studies and Research Center.
- Al-Qazi, Riyadh, (2015), Ahadeb Baghdad,(First edition), London: Dar al-Hikma.
- Al-Qadi, Riyad,(2017), Bayt al-Qadi al-Arab al-Akhir, Iraqibbc, Al-Ikhbariya Foundation in England: London.
- Jurgens, Marian, and Louise Phillips, (2010), "Theory and Method in Discourse Analysis", Translated by Hadi Jalili, Tehran: Exir Press.
- Naseri, Zohre Sadat; and etal, (2014). "Analysis of the critical discourse of the story of the death of Bunaser Meshkan based on the approach of Norman Ferclough", Journal of language science, (third year, issue 4), pp. 110-86.
- Yahya Ilaei, Ahmed, (2018),"What is discourse analysis", Public Relations Research, 10(60). pp. 58-64
- Fairclough, N, (1989), Language and power, london: Longman.

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]



مطالعات روایت شناسی عربی

شاپا چاپی: ۲۶۷۶-۷۷۴۰ شاپا الکترونیک:۰۱۷۹-۲۷۱۷



تحلیل گفتمان انتقادی در رمان "أحدب بغداد " بر اساس نظریه " فرکلاف"

الهام کاظمی رایانامه: elhamk1969@gmail.com

دانشجوی دکتری زبان و ادبیات عربی، دانشگاه رازی، کرمانشاه، ایران.

جهانگیر امیری رایانامه: jahnger.amiri@yahoo.com

استاد زبان و ادبیات عربی، دانشگاه رازی، کرمانشاه، ایران.

یحیی معروف رایانامه: y.marof@yahoo.com

استاد زبان و ادبیات عربی، دانشگاه رازی، کرمانشاه، ایران.

مریم رحمتی ترکاشوند رایانامه: m.rahmati@razi.ac.ir

استادیار زبان و ادبیات عربی، دانشگاه رازی، کرمانشاه، ایران.

چکیده

تحلیل گفتمان انتقادی یکی از ابزارهای زبانی جدید بشمار می‌رود که برای بررسی روابط پنهان زبان با ایدئولوژی در جامعه مورد استفاده قرار می‌گیرد. و ارزش‌های اخلاقی وایدئولوژیکی نهفته در گفتمان انتقادی را نشان می‌دهد. مقالۀ حاضر بر آن است تا رمان "احدب بغداد" اثر رمان نویس معاصر عراقی ریاض القاضی را با تکیه بر روش توصیفی – تحلیلی و بر اساس نظریه تحلیل گفتمان انتقادی فرکلاف که مبتنی بر این گزاره است که :«گفتمان نقدی به عنوان ابزاری برای تحلیل تغییرات اجتماعی و فرهنگی در سه لایه توصیفی، تفسیری وبیانی» مورد بررسی قرار دهد. ریاض القاضی به خوبی توانسته با بهره‌گیری از ابزارهای روایی، تصویری روشن و شفاف از جامعۀ عراق در اختیار خواننده قرار دهد. از مهمترین دستاوردها و نتایج این پژوهش که با شیوه تحلیلی توصیفی انجام گرفته این است که در جامعه عراق، گفتمان قدرت که نماینده آن اشغال گران آمریکایی و حاکمان مستبد عراقی است، صدا و ایدئولوژی خود را بر گفتمان جامعه تحمیل کرده است. و همین امر، شیوع و گسترش فساد سیاسی و اجتماعی واخلاقی و رواج اختلاس و سرقت و ربایش و ترور و قتل و قاچاق و تبییض و ظلم و خیانت و از هم گسیختگی خانوادگی و... را به دنبال داشته است.

کلیدواژگان: روایت‌شناسی عربی، گفتمان انتقادی، گفتمان سلطه، احدب بغداد، ریاض القاضی، نورمن فرکلاف.

استناد: کاظمی، الهام؛ امیری، جهانگیر؛ معروف، یحیی؛ رحمتی ترکاشوند، مریم. پاییز و زمستان (۱۴۰۰). تحلیل گفتمان انتقادی در رمان "أحدب بغداد " بر اساس نظریه " فرکلاف"، مطالعات روایت شناسی عربی، ۳(۵)، ۲۸۴-۲۵۵.

مطالعات روایت شناسی عربی، پاییز و زمستان ۱۴۰۰، دوره۳، شماره۵، صص. ۲۸۴-۲۵۵.

دریافت: ۱۴۰۰/۴/۲۵ پذیرش: ۱۴۰۰/۷/۵

[DOR: 20.1001.1.26767740.2022.3.1.10.2]